أثر التركيب اللغوى فى الوظائف النحوية

د/ فايز زكى دياب

عندما نقرأ كتب اللغة والنحو نجد أصحابها يؤكدون بأن الصلة وثيقة والعلاقة قوية بين ما هو معروف بالاعراب وبين تركيب الكلمات فى جمل فالاسم لا يستحق الاعراب الا اذا ركب مع غيره من الكلمات .

قال ابن يعيش : « الاسم اذا كان وحده مفردا من غير ضميمة اليه لم يستحق الاعراب ، لأن الاعراب انما يؤتى به للفرق بين المعانى، فاذا كان وحده كان كصوت تصوت به ، فان ركبته مع غيره تركيبا تحصل به الفائدة نحو قولك : زيد منطلق وقام بكر فحينئذ يستحق الاعراب لاخبارك عنه » (١) .

وقال ابن جنى : حال الوصل أعلى رتبة من حال الوقف ، وذلك أن الكلام انما وضع للفائدة ، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة ، وانما تجنى من الجمل ومدارج القول ، فلذلك كانت حال الوصل عندهم أشرف وأعدل من حال الوقف (٢) .

فلا يعقل الكلام ولا تدرك معانيه ولا تتضح دلالته الا اذا ألف من العناصر اللغوية المفردة التركيب ، وبذلك تبرز العلاقة بين تلك

---

(١) ابن يعيش فى شرح المفصل ٤٩/١ .
(٢) الخصائص ٣٣١/٢ .

العناصر اللغوية فتتعين الحركة الاعرابية التي يختص بها كل عنصر ، وتلك بدورها تكشف الوظائف النحوية التى تختص بهـا تلك العناصر اللغوية فى التركيب .

« فالكشف عن القرينة هو الغاية الكبرى من التحليل الاعرابى ، وما دام الناس يحسون ويعترفون بالاحساس بصعوبة الاعراب أحيانا فان معنى ذلك أن من الصعب عليهم ، أحيانا أن يكتشفوا هـذه القرينة المعنوية « قرينة التعليق » وهى أم القرائن النحوية جميعا » (١) .

وقال ابن يعيش مبينا العلاقة بين الحـركات الاعرابية ووظائف المفردات فى التركيب : « وكل واحد من الرفع والنصب والجر علم على معنى من معانى الاسم التى هى الفاعلية والمفعولية والاضافة ، ولولا ارادة جعل كل واحد منها على معنى من هذه المعانى لم تكن حاجـة الى كثرتها وتعددها » (٢) .

وقال : اذا قلت : «زيد» فتجرده من العوامل اللفظية ولم تخبر عنه بشىء كان بمنزلة صوت تصوته لا يستحق الاعراب ، لأن الاعراب انما يؤتى به للفرق بين المعانى ، واذا أخبـرت عن الاسم بمعنى من المعانى المفيدة احتيج الى الاعراب ليدل على ذلك المعنى (٣) .

ويقصد بكلمة المعانى فى نص صاحب المفصل المعانى التركيبيـة التى تفهم من موقع الكلمات فى التركيب ، ومعنى كونها معانى تركيبية

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٢ .
(٢) شرح المفصل ١/٧٣ .
(٣) شرح المفصل ١/٨٤ .

انها لا تكون للعناصر اللغوية الا اذا ركبت ، فالكلمة المفردة لا توصف بذلك .

قال السيوطى نقلا عن الشيخ بهـــاء الدين بن النحاس : « ان الاعراب دخل الأسماء لجريان المعانى عليها عند التركيب » (١) .

وبذلك تكون معرفة وظيفة الكلمة فى التركيب متوقفة على معـرفة حالتها الاعرابية ، « فالكشف عن العلاقات السياقية أو التعليق كمـا يسميه عبد القاهر هو الغاية من الاعراب » (٢) .

وقال السيوطى نقلا عن الامـام تقى الدين منصـور بن فلاح مقارنا بين التأليف والتركيب : « التأليف حقيقة فى الأجسـام مجاز فى الحروف والفرق بين التأليف والتركيب أنه لا بد فى التأليف من نسبة تحصل بها فائدة تامة مع التركيب (٣) .

وقال الأشمونى تعقيبا على قول ابن مالك : « الكلام وما يتـألف منه » : ولم يقل وما يتركب منه ، لأن التأليف أخص اذ هو تركيب وزيادة، وهى وقوع الألفة بين الجزأين » (٤) .

وقال ابن الأثير : « واعلم أن تفاوت التفاضـل يقـع فى تركيب الألفاظ أكثر مما يقع فى مفرداتها ، لأن التركيب أعسر وأشق ألا ترى

---

(١) الأشباه والنظائر ٢/١٥٥ ـ ١٥٦ .
(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ـ ١٨١ .
(٣) الأشباه والنظائر ١/١٠٠ .
(٤) الأشمون مع حاشية الصبان ١/٢٢ .

فإن ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ، ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب » (١) .

ويقول أبو سليمان : « المعاني المعقولة بسيطة في بحبوحة النفس لا يحوم عليها شيء قبل الفكر ، فاذا لقيها الفكر بالذهن الوثيق ألقى ذلك إلى العبارة ، والعبارة حينئذ تتركب بين وزن هو النظم للشعر ، وبين وزن هو سياقة الحديث ، وكل هذا راجع الى نسبة صحيحة أو فاسدة وتأليف مقبول أو محجوج » (٢) .

فالمعاني — اذن — منها معان تركيبية تفيدها العناصر اللغوية حال تركيبها ، ومنها معان معجمية تفيدها العناصر اللغوية قبل التركيب ، والمعنى على مستوى النظام الصوتي والصرفي والنحوي هو معنى وظيفي ، واذا اتضح المعنى الوظيفي أمكن اعراب الجملة دون حاجة الى المعجم أو المقام .

البلاغيون والتركيب :

واذا درسنا كتب البلاغيين في هذه الناحية ، وجدنا أنهم يتناولونها تحت موضوع « النظم » فالنظم عندهم بديل التركيب والتأليف والترتيب والترصيف .

والنظم في اللغة : جمع اللؤلؤ في السلك .

---

(١) المثل السائر ١/٢١٣ .
(٢) الامتاع والمؤانسة ٢/١٣٨ .

وفى الاصطلاح : تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعانى متناسبة الدلالات (١) .

ويربط الزملكانى بين النظم وأحكام النحو فيقول :

يرجع الاعجاز الى توخى معانى النحو وأحكامه فى النظم ، بأن يوقع كل فن فى رتبته العليا فى اللفظ والمعنى الافرادى والتركيبى (٢) .

أى أن النظم فى معناه عند عبد القاهر هو تصور العلاقات النحوية بين الأبواب كتصور علاقة الاسناد بين المسند والمسند اليه وتصور علاقة التعدية بين الفعل والمفعول به ، وتصور علاقة السببية بين الفعل والمفعول لأجله (٣) .

وقال عبد القاهر : أن مدار أمر النظم على معانى النحو ، وعلى الوجوه والفرق التى من شأنها أن تكون فيه » (٤) .

وقال فى موضع آخر : لا معنى للنظم غير أن توفى معانى النحو فيما بين الحكم » (٥) .

والعلاقات السياقية تراعى معنوية تفيد فى تحديد المعنى النحوى (٦) .

---

(١) التعريفات ١٦٤ .
(٢) التبيان فى علم البيان ١٩٥ .
(٣) اللغة العربية معناها ومبناها ١٨٦ .
(٤) دلائل الاعجاز ٦٩ .
(٥) دلائل الاعجاز ٢٨٢ .
(٦) اللغة العربية معناها ومبناها ١٩١ .

وهكذا نجد التركيب النحوى قد نال حظه من اهتمـــام اللغويين والنحاة ، لأنه وسيلة فهم العلاقات المعنوية والوظائف النحوية والمعانى الاعـــرابية .

التعريفات والتركيب :

عندما نستعرض بعض التعريفات اللغوية أو النحوية نجدها تأخذ فى الاعتبار فكرة التركيب والتأليف .

فمثلا يقول الأشمونى فى تعريف الكلام : الكلام ماكان من الحروف والا بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه » (١) .

ويقول السيرافى : الكلام اسم واقع على أشياء قد ائتلفت بمراتب، مثال ذلك قولك : هذا ثوب ، والثوب اسم يقع على أشياء بها صـــار ثوبا ، لأنه نسج بعد أن غزل ، فسداته لا تكفى دون لحمته ، ولحمتـــه لا تكفى دون سداته ، ثم تأليفه كنسجه » (٢) .

ومن ذلك تعريفهم للنحو بأنه : « انتحاء سمت كلام العـــرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع ، والتحقير والتكسير والاضافة والنسب والتركيب » (٣) .

ومعانى النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضـــع

---

(١) الأشمونى ١/٢٠ .
(٢) الامتاع والمؤانسة ١/١٢١ .
(٣) الخصائص ١/٣٤ .

الحروف فى مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير » (١) .

وقال السيوطى نقلا عن صاحب المستوفى : « النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها فى ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى فيتوصل باحداهما الى الأخرى (٢) .

كذلك قال ابن الأنبارى مبينا سبب تسمية الذى والتى أسماء موصولة : قيل لأنها تفتقر الى صلات توضحها وتبينها لأنها لم تفهم معانيها بأنفسها ، ألا ترى أنك لو ذكرتها من غير صلة لم تفهم معناها حتى تضم الى شىء بعدها (٣) .

كل هذا وغيره يوضح بجلاء أهمية الطبيعة التركيبية التى تتجمل بها اللغة العربية الفصحى. فالتركيب اللغوى ــ اذن ــ ضرورى لوجود العلائق الوثيقة بين العناصر اللغوية ، وباتضاح هذه العلائق المعنوية تتكشف الأوجه الاعرابية وتظهر الوظائف النحوية لهذه الكلمات التركيبية.

فايز زكى محمد دياب
كلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر

---

(١) الامتاع والمؤانسة ١/١٢١ .
(٢) الاقتراح للسيوطى ٦ .
(٣) أسرار العربية ١٤٩ .